

## الأحاديث الأربعون النووية

للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي

### الحديث الأول

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة).

### شرح وفوائد الحديث

دل الحديث على أن النية معيار لتصحيح الأعمال ، فحيث صلحت النية صلح العمل ، وحيث فسدت فسدت العمل ، ، وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال :

(الأول) : أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالى وهذه عبادة العبيد .

(الثاني): أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب وهذه عبادة التجار.

(الثالث): أن يفعل ذلك حياء من الله تعالى وتأدية لحق العبودية وتأدية للشكر ، ويرى نفسه مع ذلك مقصراً ، ويكون مع ذلك قلبه خائفاً لأنه لا يدري هل قبل عمله مع ذلك أم لا ، وهذه عبادة الأحرار ، وإليها أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالت له عائشة رضي الله عنها حين قام من الليل حتى تورمت قدماه : يا رسول الله !

أنتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : (أفلا أكون عبداً شكوراً؟). فإن قيل : هل الأفضل العبادة مع الخوف أو مع الرجاء ؟ . قيل : قال الغزالي رحمه الله تعالى : العبادة مع الرجاء أفضل ، لأن الرجاء يورث المحبة ، والخوف يورث القنوط .

وهذه الأقسام الثلاثة في حق المخلصين ، واعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب ، فمن أعجب بعمله حبط عمله ، وكذلك من استكبر حبط عمله.

الحال الثاني : أن يفعل ذلك لطلب الدنيا والآخرة جميعها ، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عمله مردود واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الرباني: ((يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه)).

وإلى هذا ذهب الحارث المحاسبى في كتاب ((الرعاية)) فقال : الإخلاص أن تريده بطاعته ولا تريد سواه . والرياء نوعان : أحدهما : لا يريد بطاعته إلا الناس والثاني : أن يريد الناس ورب الناس ، وكلاهما محبط للعمل ، ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم في ((الحلية)) عن بعض السلف ، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ((الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (الحشر : ٢٣) ، فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك ، تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره ، فهو تعالى أكبر ، وكبير ، ومتكبر .

وقال السمر قندي رحمه الله تعالى: ما فعل لله قُبِلَ وما فعل من أجل الناس رُدَّ . ومثال ذلك من صلى الظهر مثلاً وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه ولكنه طول أركانه وقراءتها وحسن هيتها من أجل الناس ، فأصل الصلاة مقبول ، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس .

وسئل الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : عن صلى فطول صلاته من أجل الناس ؟ فقال : أرجو أن لا يحبط عمله هذا كله إذا حصل التشريك في صفة العمل ، فإن حصل في أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس ، فلا تقبل صلاته لأجل التشريك في أصل العمل ، وكما أن الرياء في العمل يكون في ترك العمل . قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص ان يعافيك الله منهما .

ومعنى كلامه رحمه الله تعالى أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس ، فهو مُرَاءٍ لأنه ترك العمل لأجل الناس ، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة ، أو زكاة واجبة ، أو يكون عالماً يقتدى به ، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل ، وكما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع ، وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل ، قال صلى الله عليه وسلم: (( من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به)).

قال العلماء : فإن كان عالماً يقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعملوا به فلا بأس . قال المرزبانى ، رحمه الله تعالى عليه : يحتاج المصلى إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته : حضور القلب ، وشهود العقل ، وخضوع الأركان ، وخشوع الجوارح ، فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصلٍ لاهٍ ، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصلٍ ساهٍ ، ومن صلى بلا خضوع الجوارح فهو مصلٍ خاطيء ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصلٍ وافٍ .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( إنما الأعمال بالنيات )) أراد بها أعمال الطاعات دون أعمال المباحات ، قال الحارث المحاسبى : الإخلاص لا يدخل في مباح ، لأنه لا يشتمل على قرينة ولا يؤدي إلى قرينة ، كرفع البنيان لا لغرض الرعونة ، أما إذا كان لغرض كالمساجد والقناطر والأربطة فيكون مستحباً . قال : ولا إخلاص في محرم ولا مكروه ، كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه ، ويزعم أنه ينظر إليه

ليفتكر في صنع الله تعالى ، كالنظر إلى الأمد ، وهذا لا إخلاص فيه بل لا قربة البتة ، قال : فالصدق في وصف العبد في استواء السر والعلانية والظاهر والباطن ، والصدق يتحقق بتحقيق جميع المقامات والأحوال حتى إن الإخلاص يفتقر إلى الصدق ، والصدق لا يفتقر إلى شيء . لأن حقيقة الإخلاص هو إرادة الله تعالى بالطاعة ، فقد يريد الله بالصلاة ولكنه غافل عن حضور القلب فيها ، والصدق هو إرادة الله تعالى بالعبادة مع حضور القلب إليه ، فكل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادقاً ، وهو معنى الاتصال والانفصال ، لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله ، وهو معنى التخلي عما سوى الله والتخلي بالحضور بين يدي الله سبحانه وتعالى .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( إنما الأعمال )) يحتتمل : إنما صحة الأعمال أو تصحيح الأعمال ، أو قبول الأعمال ، أو كمال الأعمال ، وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، ويستثنى من الأعمال ما كان قبيل التروك كإزالة النجاسة ، ورد الغصوب والعواري ، وإيصال الهدية وغير ذلك ، فلا تتوقف صحتها على النية المصححة ، ولكن يتوقف الثواب فيها على نية التقرب ، ومن ذلك ما إذا أطمع دابته ، إن قصد بإطعامها امتثال أمر الله تعالى فإنه يثاب ، وإن قصد بإطعامها حفظ المال فثواب ، ذكره القرافي ، ويستثنى من ذلك فرس المجاهد ، إذا ربطها في سبيل الله فإنها إذا شربت وهو لا يريد سقيها أثيب على ذلك كما في صحيح البخاري ، وكذلك الزوجة وكذلك إغلاق الباب وإطفاء المصباح عند النوم إذا قصد به امتثال أمر الله أثيب وإن قصد أمراً آخر فلا .

واعلم أن النية لغة : القصد ، يقال نواك الله بخير : أي قصدك به . والنية شرعاً : قصد الشيء مقترناً بفعله ، فإن قصد وتراخى عنه فهو عزم ، وشرعت النية لتمييز العادة من العبادة أو لتمييز رتب العبادة بعضها عن بعض ، مثال الأول : الجلوس في المسجد قد يقصد للاستراحة في العادة ، وقد يقصد للعبادة بنية الاعتكاف ، فالمميز بين العبادة والعادة هو النية ، وكذلك الغسل : يقصد به تنظيف البدن في العادة ، وقد يقصد به العبادة فالمميز هو النية وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الرجل يقاتل رياء ويقا تل حمية ويقا تل شجاعة ، أي ذلك في سبيل الله تعالى ؟ فقال : (( من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى )) ومثال الثاني وهو المميز رتب العبادة ، كمن صلى أربع ركعات قد يقصد إيقاعها عن صلاة الظهر وقد يقصد إيقاعها عن السنن فالمميز هو النية ، وكذلك العتق قد يقصد به الكفارة وقد يقصد به غيرها كالنذر ونحوه ، فالمميز هو النية .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (( وإنما لكل امرئ ما نوى )) دليل على أنه لا تجوز النية في العبادات ، ولا التوكيل من نفس النية ، وقد استثنى من ذلك تفرقة الزكاة وذبح الأضحية ، فيجوز التوكيل فيهما في النية والذبح ، والتفرقة مع القدرة على النية . وفي الحج : لا يجوز ذلك مع القدرة ودفع الدين ، أما إذا كان على جهة واحدة لم يحتج إلى نية ، وإن كان على جهتين كمن عليه ألفان بأحدهما رهن فإدى ألفاً قال جعلته عن ألف الرهن ، صدق ، فإن لم ينو شيئاً حالة الدفع ، ثم نوى بعد ذلك ، وجعله عما شاء وليس لنا نية تتأخر عن العمل وتصح إلا هنا .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه )) .

أصل المهاجرة المجافاة والترك ، فاسم الهجرة يقع على رموز :

الأولى : هجرة الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى الحبشة حين آذى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففروا منه إلى النجاشي ، وكانت هذه بعد البعثة بخمس سنين ، قاله البيهقي .

الهجرة الثانية : من مكة إلى المدينة وكانت هذه بعد البعثة بثلاث عشرة سنة ، وكان يجب على كل مسلم بمكة أن يهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأطلق جماعة أن الهجرة كانت واجبة من مكة إلى المدينة ، وهذا ليس على إطلاقه فإنه لا خصوصية للمدينة ، وإنما الواجب الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي : قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض هرباً وطلباً ، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام :

(الأول): الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وهي باقية إلى يوم القيامة ، و التي انقطعت بالفتح في قوله صلى الله عليه وسلم : (( لا هجرة بعد الفتح )) . هي القصد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان .

(الثاني): الخروج من أرض البدعة ، قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسبُّ فيها السلف .

(الثالث): الخروج من أرض يغلب عليها الحرام ، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

(الرابع): الفرار من الأذية في البدن ، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه ، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه ، والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور ، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام حيث خاف من قومه فقال : { **إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي** } [العنكبوت : ٢٦] . وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام : { **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ** } [القصص : ٢١] .

(الخامس): الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة ، إلى الأرض النزهة ، وقد أذن صلى الله عليه وسلم للعربيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج .

(السادس) الخروج خوفاً من الأذية في المال ، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه .

وأما قسم الطلب ، فإنه ينقسم إلى عشرة : طلب دين وطلب دنيا ، وطلب الدين ينقسم إلى تسعة أنواع :

(الأول) سفر العبرة قال الله تعالى : { **أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** } [الروم : ٩] . وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها .

(الثاني) : سفر الحج .

(الثالث): سفر الجهاد.

(الرابع) : سفر العبرة المعاش.

(الخامس): سفر التجارة والكسب الزائد على القوت ، وهو جائز لقوله تعالى : **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ}** {البقرة : ١٩٨}.

(السادس) : طلب العلم .

(السابع) :قصد البقاع الشريفة ، قال صلى الله عليه وسلم : (( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)).

(الثامن) : قصد الثغور للرباط بها .

(التاسع): زيارة الإخوان في الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم: (( زار رجل أخاً له في قرية ، فأرسل الله ملكاً على مدرجته . فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تؤذيها قال: لا ، إلا أنني أحبه في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته)).  
رواه مسلم . وغيره .

الثالثة: هجرة القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم .

الرابعة : هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع إلى قومه .

الخامسة : الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر ، قال  
الماوردي : فإن صار له بها أهل وعشيرة ، وأمكنته إظهار دينه ، لم يجز له أن يهاجر ، لأن المكان الذي  
هو فيه قدر دار إسلام .

السادسة : هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة ، بغير سبب شرعي ، وهي مكروهة في الثلاثة ، وفيما زاد  
حرام إلا لضرورة.

السابعة: هجرة الزوج الزوجة إذا تحقق نشوزها قال تعالى **{واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}**  
[النساء: ٣٤]. ومن ذلك هجرة أهل المعاصي في المكان ، و الكلام ، و جواب السلام وابتدأؤه .

الثامنة : هجرة ما نهى الله عنه ، وهي أعم الهجر.

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله )) : أي نية وقصداً فهجرته إلى  
الله ورسوله حكماً وشرعاً.

(( ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها .. الخ )) نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس ، فسمى مهاجر أم قيس . فإن قيل النكاح من مطلوبات الشرع فلم كان من مطلوبات الدنيا؟ قيل في الجواب : إنه لم يخرج في الظاهر لها ، وإنما خرج في الظاهر للهجرة ، فلما أبطن خلاف ما أظهر استحق العتاب واللوم ، وقيس بذلك من خرج في الصورة الظاهرة لطلب الحج وقصد التجارة وكذلك الخروج لطلب العلم إذا قصد به حصول رياسة أو ولاية .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فهجرته إلى ما هاجر إليه )) يقتضي أنه لا ثواب لمن قصد بالحج التجارة والزيارة ، وينبغي حمل الحديث على ما إذا كان المحرك الباعث له على الحج إنما هو التجارة ، فإن كان الباعث له الحج فله الثواب ، والتجارة تبع له إلا أنه ناقص الأجر عن أخرج نفسه للحج ، وإن كان الباعث له كليهما فيحتمل حصول الثواب لأن هجرته لم تتمخص للدنيا ، ويحتمل خلافه لأنه قد خلط عمل الآخرة بعمل الدنيا ، لكن الحديث رتب فيه الحكم على القصد المجرد ، فأما من قصدهما لم يصدق عليه أنه قصد الدنيا فقط ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### الحديث الثاني

عن عمر (رضي الله عنه) أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "يا عمر أ تدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : أخبرني عن الإيمان : الإيمان في اللغة : هو مطلق التصديق ، وفي الشرع : عبارة عن تصديق خاص ، وهو التصديق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، وبالיום الآخر ، وبالقدر خيره وشره . وأما الإسلام فهو عبارة عن فعل الواجبات، وهو الانقياد إلى عمل الظاهر . قد غاير الله تعالى بين الإيمان والإسلام كما في الحديث ، قال الله تعالى : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } [الحجرات : ١٤]. وذلك أن المنافقين كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ، وبقلوبهم ينكرون ، فلما ادَّعوا الإيمان كذبهم الله تعالى في دعواهم الإيمان لإنكارهم بالقلوب، وصدقهم في دعوى

الإسلام لتعاطيهم إياه . وقال الله تعالى: **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}** [المنافقون : ١]. أي في دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم ، لأن ألسنتهم لم تواطء قلوبهم ، وشرط الشهادة بالرسالة : أن يواطء اللسان القلب فلما كذبوا في دعواهم بين الله تعالى كذبهم ، ولما كان الإيمان شرطاً في صحة الإسلام استثنى الله تعالى من المؤمنين المسلمين قال الله تعالى : **{ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }** [الذاريات : ٣٥ - ٣٦] فهذا استثناء متصل لما بين الشروط من الاتصال ولهذا سمي الله تعالى الصلاة : إيماناً قال الله تعالى : **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }** [البقرة : ١٤٣]. وقال تعالى : **{ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ }** [الشورى : ٥٢] أي الصلاة .

قوله صلى الله عليه وسلم : **(( وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ ))** بفتح الدال وسكونها لغتان ، ومذهب أهل الحق : إثبات القدر ، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وفي أمكنة معلومة وهي تقع على حسب ما قدره الله سبحانه وتعالى . واعلم أن التقادير أربعة :

(الأول) التقدير في العلم ولهذا قيل : العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة ، والوفاق مبنية على السوابق ، قال الله تعالى **{ يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ }** [الذاريات : ٩] أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف عنه في القدم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(( لَا يَهْلِكُ اللَّهُ إِلَّا هَالِكًا ))** أي من كتب في علم الله تعالى أنه هالك .

(الثاني) التقدير في اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير قال الله تعالى : **{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }** [الرعد : ٣٩] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقول في دعائه : **(( اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فَاْمَحْنِي وَاكْتَبْنِي سَعِيدًا ))** .

(الثالث) التقدير في الرحم ، وذلك أن الملك يؤمر بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد .

(الرابع) التقدير وهو سوق المقادير إلى المواقيت ، والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجئيه إلى العبد في أوقات معلومة . و الدليل على أن الله تعالى خلق الخير والشر قوله تعالى: **{ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ \* يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ نُوقُوا مَسَّ سَقَرَ \* إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }** [القمر ٤٧ - ٤٩] نزلت هذه الآية في القدرية ، يقال لهم ذلك في جهنم ، وقال تعالى **{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ \* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ }** [الفلق ١-٢] . وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه .

وفي الحديث : **(( إِنْ الصَّدَقَةَ وَصَلَتْ إِلَى الرَّحْمِ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَتَقْلِبُهُ سَعَادَةً ))** .

وفي الحديث: **(( إِنْ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَقْتَتِلَانِ ، وَيُدْفَعُ الدُّعَاءَ الْبَلَاءُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ ))** .

وزعمت القدرية : أن الله تعالى لم يقدر الأشياء في القدم ، ولا سبق علمه بها ، وأنها مستأنفة ، وأنه تعالى يعلمها بعد وقوعها ، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى جلَّ عن إقوالهم الكاذبة وتعالى علواً كبيراً

، وهؤلاء انقضوا وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون : الخير من الله والشر من غيره ، تعالى الله عن قولهم ، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( القدرية مجوس هذه الأمة )) . سماهم مجوساً لمضاهاة مذهبيهم مذهب المجوس ، وزعمت الثنوية أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره وهو تعالى خالق الخير والشر .

قال إمام الحرمين في كتاب ((الإرشاد)) إن بعض القدرية تقول : لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لا اعتقادكم أخبار القدر ، و رد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم ، ومن يدعي الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يضيفه لغيره وينفيه عن نفسه .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الإحسان قال : (( الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه )) وهذا مقام المشاهدة لأن من قدر أن يشاهد الملك استحي أن يلتفت إلى غيره في الصلاة وأن يشغل قلبه بغيره ومقام الإحسان مقام الصديقين وقد تقدم في الحديث الأول الإشارة إلى ذلك .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( فإنه براك )) غافلاً إن غفلت في الصلاة وحدثت النفس فيها .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن الساعة فقال : (( ما المسؤول عنها بأعلم من السائل )) هذا الجواب على أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم متى الساعة؟ بل علم الساعة مما استأثر الله تعالى به ، قال الله تعالى : { إن الله عنده علم الساعة } [لقمان: ٣٤] . وقال تعالى : { ثقلت في السماوات والأرض ، لا تأتكم إلا بغتة } [الإعراف: ١٨٧] . وقال تعالى : { وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً } [الأحزاب: ٦٣] .

ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعون ألف سنة وأنه بقي منها ثلاثة وستون ألف سنة فهو قول باطل حكاه الطوخي في ((أسباب التنزيل)) عن بعض المنجمين وأهل الحساب ، ومن ادعى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فهذا يسوف على الغيب ولا يحل اعتقاده .

قوله صلى الله عليه وسلم : فأخبرني عن أماراتها قال : (( أن تلد الأمة ربتها )) الأمار والأماراة بإثبات التاء وحذفها لغتان ، وروي ربها وربتها ، قال الأكثرون هذا إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقيل معناه الإماء يلدن الملوك فتكون أمة من جملة رعيته ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن الشخص يستولد الجارية ولدأ ويبيعها فيكبر الولد ويشترى أمه ، وهذا من أشراط الساعة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وأن ترى الحفاة العراة العالة ، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان )) إذ العالة هم الفقراء ، والعائل الفقير ، والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر . والرعاء بكسر الراء وبالمد ويقال فيه رعاة بضم الراء وزيادة تاء بلا مد معناه أن أهل البادية وأشباهم من أهل الحاجة والفاقة يترقون في البنيان والدنيا تبسط لهم حتى يتباهوا في البنيان .

قوله : (( فلبث ملياً )) هو بفتح الثاء على أنه للغائب ، وقيل : فلبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح . وملياً بتشديد الياء معناه وقتاً طويلاً . وفي رواية أبي داود والترمذي أنه قال : بعد ثلاثة أيام . وفي

(( شرح التنبيه )) للبغوي أنه قال : بعد ثلاثة فأكثر ، وظاهر هذا أنه بعد ثلاث ليال . وفي ظاهر هذا مخالفة لقول أبي هريرة في حديثه ، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( رداً على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( رداً على الرجل )) فأخذوا يردونه فلم يروا شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل )) فيمكن الجمع بينهما بأن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الحال ، بل كان قد قام من المجلس فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ، وأخبروا عمر بعد ثلاث إذ لم يكن حاضراً عن إخبار الباقيين .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (( هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمر دينكم )) ، فيه دليل على أن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، تسمى كلها ديناً ، وفي الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر واجب ، وعلى ترك الخوض في الأمور ، وعلى وجوب الرضا بالقضاء . دخل رجل على ابن حنبل رحمه الله . فقال : عطني . فقال له : إن كان الله تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخلف على الله حقاً فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقاً فالراحة لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقاً فالألم لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟

(فائدة) ذكر صاحب (( مقامات العلماء )) أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسمًا : خمسة بالقضاء والقدر ، وخمسة بالاجتهاد ، وخمسة منها بالعادة ، وخمسة بالجواهر ، وخمسة بالوراثة . فأما الخمسة التي بالقضاء والقدر : فالرزق ، والولد ، والأهل ، والسلطان ، والعمر . والخمسة التي بالاجتهاد : فالجنة ، والنار ، والعفة ، والفروسية ، والكتابة . والخمسة التي بالعادة : فالأكل ، والنوم ، والمشى ، والنكاح ، والتغوط . والخمسة التي بالجواهر : فالزهد ، والزكاة ، والبذل ، والجمال ، والهيبة . والخمسة التي بالوراثة : فالخير ، والتواصل ، والسخاء والصدق ، والأمانة . وهذا كله لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم (( كل شيء بقضاء وقدر )) . وإنما معناه : أن بعض هذه الأشياء يكون مرتباً على سبب ، وبعضها يكون بغير سبب ، والجميع بقضاء وقدر .

### الحديث الثالث

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( بني الإسلام على خمس )) أي فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه ، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وهي خمس ، وهذا بناء معنوي شبه بالحسي ، ووجه الشبه أن البناء الحسي إذا تهدم بعض أركانه لم يتم ، فكذلك البناء المعنوي ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم :

(( الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين )) ، وكذلك يقاس البقية .

وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين فقال تعالى : { **أفمن أسس بُنيانَهُ على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** } [التوبة: ١٠٩]. شبه بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه على وسط طود أي : جبل راسخ ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار ، لا ثبات له فأكله البحر فانهار الجرف فانهار بنيانه فوقه به في البحر ، فغرق ، فدخل جهنم .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **بني الإسلام على خمس** )) أي بخمس على أن تكون على : بمعنى الباء وإلا فالمبني غير المبني عليه فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام وهو فاسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى من كقوله تعالى { **إلا على أزواجهم** } . [المؤمنون: ٦ والمعارج : ٣٠]. أي من أزواجهم . الخمسة المذكورة في الحديث أصول البناء وأما التتمات المكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات فهي زينة للبناء . وقد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (( **الإيمان بضع وسبعون** شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، قال وأدناها إمطة الأذى عن الطريق )) .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **وحج البيت وصوم رمضان** )) . هكذا جاء في هذه الرواية بتقديم الحج على الصوم ، وهذا من باب الترتيب في الذكر دون الحكم ، لأن صوم رمضان وجب قبل الحج وقد جاء في الرواية الأخرى تقديم الصوم على الحج .

#### الحديث الرابع

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". (رواه البخاري ومسلم)

#### شرح وفوائد الحديث

قوله : وهو الصادق المصدوق ، أي شهد الله له بأنه الصادق ، والمصدوق بمعنى المصدق فيه .

قوله صلى الله عليه وسلم (( **يجمع خلقه في بطن أمه** )) يحتمل أن يراد أن يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد كما قال الله تعالى : { **خلق من ماء دافق \* يخرُج من بين الصلب والترائب** } [الطارق: ٦،٧].

ويحتمل أن المراد أنه يجمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل : إن النطفة في الطور الأول تسري في جسد المرأة أربعين يوماً ، وهي أيام التوحمة ، ثم بعد ذلك يجمع ويدر عليها من تربة المولود فتصير علقة

ثم يستمر في الطور الثاني فيأخذ في الكبر حتى تصير مضغة ، وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التي تمضغ ، ثم في الطور الثالث يصور الله تلك المضغ ويشق فيها السمع والبصر والشم والشم والشم ، ويصور في داخل جوفها الحوايا والأمعاء ، قال الله تعالى : { **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم** } [آل عمران : ٦٠] ، ثم إذا تم الطور الثالث وهو أربعون صار للمولود أربعة أشهر نفخت فيه الروح ، قال الله تعالى : { **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب** } يعني أباكم آدم { **ثم من نطفة** } يعني ذريته ، والنطفة المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف { **ثم من علقة** } وهو الدم الغليظ المتجمد ، وتلك النطفة تصير دماً غليظاً { **ثم من مضغة** } وهي لحمة { **مُخَلَّقةٍ وغير مُخَلَّقةٍ** } [الحج: ٥] . قال ابن عباس مخلقة : أي تامة ، وغير مخلقة أي غير تامة بل ناقصة الخلق ، وقال مجاهد : مصورة وغير مصورة ، يعني السقط . وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : (( إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أي رب مخلقة ، أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة ، قذفها في الرحم دماً ولم تكن نسمة ، وإن قال : مخلقة ، قال الملك : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ، ما الرزق وما الأجل وبأي أرض تموت ؟ فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك . فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي إلى آخر صفته )) .

ولهذا قيل : السعادة قبل الولادة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **فيسبق عليه الكتاب** )) أي الذي سبق في العلم ، أو الذي سبق في اللوح المحفوظ ، أو الذي سبق في بطن الأم . وقد تقدم أن المقادير أربعة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع** )) هو تمثيل وتقريب ، والمراد قطعة من الزمان من آخر عمره وليس المراد حقيقة الذراع وتحديد من الزمان ، فإن الكافر إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم مات دخل الجنة ، والمسلم إذا تكلم في آخر عمره بكلمة الكفر دخل النار .

وفي الحديث دليل على عدم القطع بدخول الجنة أو النار ، وإن عمل سائر أنواع البر ، أو عمل سائر أنواع الفسق ، وعلى أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به لأنه لا يدري ما الخاتمة . وينبغي لكل أحد أن يسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ويسعيذ بالله تعالى من سوء الخاتمة وشر العقاب . فإن قيل : قال الله تعالى : { **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننصِّع أجر من أحسن عملاً** } . [الكهف: ٣٠] . ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل ، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة .

فالجواب من وجهين : أحدهما أن يكون ذلك معلقاً على شرط القبول وحسن الخاتمة ، و يحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائماً إلا بخير ، وأن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خطئه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة ويدل عليه الحديث الآخر (( **إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس** )) أي : فيما يظهر لهم صلاح مع فساد سريرته وخبثها ، والله أعلم .

وفي الحديث دليل على استحباب الحلق لتأكيد الأمر في النفوس وقد أقسم الله تعالى : { **فورب السماء والأرض إنه لحق** } . [الذاريات: ٢٣] ، وقال الله تعالى : { **قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** } . [التغابن: ٧] .

والله تعالى أعلم .

### الحديث الخامس

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (رواه البخاري ومسلم) وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** )) أي مردود. فيه دليل على أن العبادات من الغسل والوضوء والصوم والصلاة إذا فعلت على خلاف الشرع تكون مردودة على فاعلها ، وأن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك ، وقال صلى الله عليه وسلم للذي قال له : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته ، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاه ووليدة، فقال صلى الله عليه وسلم : (( **الوليدة والغنم ردّ عليك** )) . وفيه دليل على أن من ابتدع في الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه ، و عمله مردود عليه وإنه يستحق الوعيد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (( **من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله** )) .

### الحديث السادس

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات .... الخ** )) اختلف العلماء في حد الحلال والحرام ، فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: **الحلال ما دل الدليل على حله** . وقال الشافعي رحمه الله : **الحرام ما دل الدليل على تحريمه** .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **وبينهما أمور مشتبهاة** )) أي بين الحلال والحرام أمور مشتبهاة بالحلال والحرام ، فحيث انتفت الكراهة وكان السؤال عنه بدعة . وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك ، بل ولا يستحب ، ويكره السؤال عنه .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه** )) أي طلب براءة دينه وسلم من الشبهة . وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم في الإثم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم** )) . وعن علي رضي الله عنه أنه قال : إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً.

وفي صحيح الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: (( **إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف** )) وذلك لئلا يقال عنه أحدث .

قوله عليه الصلاة والسلام: (( **فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام** )) يحتل أمرين : أحدهما أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام . والثاني : أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام كما يقال : المعاصي يبريد الكفر . لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها ، قيل : وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : { **ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** } . [آل عمران: ١١٢] . يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء .

وفي الحديث: (( **لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده** )) .

أي يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة ، والحمى ما يحميه الغير من الحشيش في الأرض المباحة فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إليه بعيداً من الحمى . واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به ، فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلاً حريماً للمحرم ، وكذلك الخلوة بالإجنبية حمى للمحرم ، فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم ، فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **ألا وإن في الجسد مضغة** )) أي في الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا طمحت طمحت الجوارح وإذا فسدت فسدت الجوارح . قال العلماء : **البدن مملكة والنفس مدينتها، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدام والقوى الباطنية كضياح المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح به ، والشهوة طالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة ، وهو عبد مكار خبيث، يتمثل بصورة الناصح ونصح سم قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح والقوة المخيلة في مقدم الدماغ كالخازن ، والقوة المفكرة في وسط الدماغ، والقوة الحافظة في آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس الخمس جواسيس ، وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات ، فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها فإنها أصحاب الأخبار ، ثم قيل : هي كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه ، وقيل : إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس ، فالقلب هو الملك فإذا صلح الراعي**

صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية ، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغلل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضى بالمقدور ، وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين ، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم .

### الحديث السابع

**عن أبي رقية تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". (رواه مسلم)**

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( الدين النصيحة لله ولكتابه ولسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم )) قال الخطابي: **النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له .** وقيل النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل : إنها مأخوذة من نصحت العسل ، إذا صفيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

قال العلماء : أما النصيحة لله تعالى فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، ومودة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها ، والتطلف بجميع الناس، أو من أمكن منهم عليها ، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، والله تعالى غني عن نصح الناصحين .

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيهه ، لا يشبهه شيء من كلام الناس ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعريض الطاعنين والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتكفير في عجائبه، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته .

وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم : فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه وموالاته من ولاة ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقتة وسننه، وبث دعوته ونشر سنته ، ونفس التهم عنها ، ونشر علومها ، والفقهاء فيها ، والدعاء لها ، والتطلف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لاتسابهم إليها . والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ونهيههم وتذكيرهم برفق ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخورج عليهم ، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم .

قال الخطابي : ومن النصيحة لهم ، الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح .

قال ابن بطال رحمه الله تعالى : في هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً ، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ، قال: والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ، يسقط عن الباقيين ، قال : والنصيحة واجبة على قدر الطاعة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فإن خشي أدى فهو في سعة والله تعالى أعلم . فإن قيل ففي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال : (( إذا استصح أحدكم أخاه فلينصح له )) ، وهوبدل على تعليق الوجوب بالاستتصاح لا مطلقاً ، ومفهوم الشرط حجة في تخصيص عموم المنطوق . فجوابه : يمكن حمل ذلك على الأمور الدينونية ككناح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك ، والأول يحتمل بعمومه في الأمور الدينية التي هي واجبة على كل مسلم ، والله تعالى أعلم.

#### الحديث الثامن

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى". (رواه البخاري ومسلم)

#### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( أمرت إلخ.. )) فيه دليل على أن مطلق الأمر وصيغته تدل على الوجوب.

قوله صلى الله عليه وسلم : ((فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم )) ، فإن قيل : فالصوم من أركان الإسلام وكذلك الحج ولم يذكرهما ، فجوابه : أن الصوم لا يقاتل الإنسان عليه بل يحبس ويمنع الطعام والشراب ، والحج على التراخي، فلا يقاتل عليه ، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة لأنه يقاتل على تركها ولهذا لم يذكر الصوم والحج لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ، بل ذكر هذه الثلاثة ، خاصة ..

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إلا بحق الإسلام )) فمن حق الإسلام فعل الواجبات ، فمن ترك الواجبات جاز قتاله كالبيغاة ، وقطاع الطريق ، والصائل ، ومانع الزكاة ، والممتنع من بذله الماء للمضطر

والبهيمة المحترمة . والجاني والممتنع من قضاء الدين مع القدرة ، والزاني المحصن ، و تارك الجمعة والوضوء .

ففي تلك الأحوال يباح قتله وقتاله ، وكذلك لو ترك الجماعة ، وقلنا إنها فرض عين ، أو كفاية .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **و حسابهم على الله** )) يعني من أتى بالشهادتين و اقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمه وماله ، ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة سالحة فهو مؤمن ، وإن كان فعله تقية وخوفاً من السيف كالمنافق فحسابه على الله ، وهو متولي السرائر ، وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من الجنابة ، أو أكل في بيته وادعى أنه صائم ، يقبل منه وحسابه على الله عز وجل والله أعلم .

### الحديث التاسع

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم (( **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه** )) أي اجتنبوه جملة واحدة لا تفعلوه ولا شيئاً منه ، وهذا محموله على نهى التحريم ، فأما نهى الكراهة فيجوز فعله ، وأصل النهي في اللغة : المنع .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم** )) فيه مسائل : منها إذا وجد ماء للوضوء لا يكفيهِ فالأظهر وجوب استعماله ثم يتيمم للباقي . ومنها إذا وجد بعض الصاع في الفطرة فإنه يجب إخراجهِ . ومنها إذا وجد بعض ما يكفي لنفقة القريب أو الزوجة أو البهيمة فإنه يجب بذله . وهذا بخلاف ما إذا وجد بعض الرقبة فإنه لا يجب عتقه عن الكفارة ، لأن الكفارة لها بدل وهو الصوم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (( **فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم** )) . اعلم ان السؤال على أقسام :

القسم الأول : سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء والصلاة والصوم ، وعن أحكام المعاملة ونحو ذلك .

وهذا السؤال واجب وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم : (( **طلب العلم فريضة على كل مسلم** )) ومسلمة ، ولا يسع الإنسان السكوت عن ذلك قال تعالى : { **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** } [النحل: ٤٣] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : **إني أعطيت لساناً سوؤلاً وقلباً عقولاً ، كذلك أخبر عن نفسه رضي الله تعالى عنه .**

والقسم الثاني: السؤال عن التفقه في الدين سبحانه وتعالى: {فلولا نفرٌ من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} [التوبة: ١٢٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب)).

القسم الثالث : أن يسأل عن شيء لم يوجبه الله عليه ، ولا على غيره ، وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون في السؤال ترتب مشقة بسبب تكليف يحصل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (( وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها )) . وعن علي رضي الله عنه لما نزلت ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾. [آل عمران : ٩٧].

قال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( وما يوشك أن أقول نعم ، والله لو قلت : نعم لو جبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فاتركوني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فأجتنبوه)).

فإنزل الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم } [المائدة: ١٠١]. أي لم آمركم بالعمل بها ، وهذا النهي خاص بزمانه صلى الله عليه وسلم . أما بعد أن استقرت الشريعة ، وامن من الزيادة فيها زال النهي بزوال سببه ، وكره جماعة من السلف السؤال عن معاني الآيات المشتبهة .

سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥] فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وأراك رجل سوء أخرجوه عني .

وقال بعضهم: مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم : وهو السؤال.

### الحديث العاشر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( إن الله تعالى طيب )) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( اللهم إني أسألك باسمك المطهر الطاهر ، الطيب المبارك الأحب إليك

الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت ))  
، ومعنى الطيب : المنزه عن النقائص والخبائث ، فيكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء ومسلتذ الأسماء  
عند العارفين بها : وهو طيب عبادته لدخول الجنة بالإعمال الصالحة وطيبها لهم ، والكلمة الطيبة : لا إله  
إلا الله .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( لا يقبل إلا طيباً )) أي فلا يتقرب إليه بصدقة حرام ، ويكره التصدق  
بالرديء من الطعام كالحب العتيق المسوس ، وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة قال الله تعالى : { ولا  
تيمموا الخبيث منه تنفقون } [البقرة: ٢٦٧]. فكما أنه تعالى لا يقبل المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل  
إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها .

قوله : فقال تعالى : { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً } [المؤمنون: ٥١]. وقوله تعالى  
: { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم } [البقرة: ١٧٢]. المراد بالطيبات الحلال .

في الحديث دليل على أن الشخص يثاب على ما يأكله إذا قصد به التقوي على الطاعة أو إحياء  
نفسه ، و ذلك من الواجبات ، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم .

قوله : (( مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام )) أي شبع ، وهو بضم الغين المعجمة وكسر  
الذال المعجمة المخففة من الغذي بالكسر والقصر ، و أما الغداء بالفتح والمد والذال المهملة : فهو عبارة  
عن نفس الطعام الذي يؤكل في الغداة ، قال الله تعالى : { قال لفتاه آتنا غداءنا } [الكهف: ٦٢].

قوله : (( فأني يستجاب له )) أي استبعاداً لقبوله إجابة الدعاء ، وهذا شرط العبادي لقبول الدعاء  
أكل الحلال ، والصحيح أن ذلك ليس بشرط فقد استجاب لشر خلقه إبليس فقال : { إنك من المنظرين }  
[الأعراف: ١٥].

### الحديث الحادي عشر

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وريحانته رضي  
الله عنهما قال: حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". (رواه  
الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) فيه دليل على أن المتقي ينبغي له أن لا  
يأكل المال الذي فيه شبهة ، كما يحرم عليه أكل الحرام ، وقد تقدم .

قوله : (( إلى ما لا يريبك )) أي اعدل إلى ما لا يريب فيه من الطعام الذي يطمئن به القلب وتسكن  
إليه النفس . والريبة : الشك وتقدم الكلام عن الشبهة .

## الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". (حديث حسن رواه الترمذي وغيره هكذا)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه )) أي ما لا يهمله من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال . وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين سأله عن صحف إبراهيم قال : (( كانت أمثالا كلها ، كان فيها : أيها السلطان المغرور إني لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عن دعوة المظلوم فإني لا أردّها ، ولو كانت من كافر . وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى ، وساعة يحدث فيها نفسه ، وساعة يخلو بذوي الجلال والإكرام ، وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات ، و كان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ، أن لا يكون ساعياً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومؤنة لمعاش ، ولذة في غير محرم . وكان فيها : على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون بصيراً لزمانه ، مقبلاً على شأنه . حافظاً للسانته ، ومن حسب الكلام من عمله يوشك أن يقل الكلام إلا فيما يعنيه )) .

قلت : بأبي وأمي فما كان في صحف موسى ؟ قال : (( كانت عبراً كلها ، كان فيها : عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها ، وعجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب ، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل ))؟! .

قلت : بأبي وأمي هل بقي مما كان في صحفهما شيء؟ قال : (( نعم يا أباذر { قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه فصلى \* بل تؤثرن الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى \* إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى } الأعلى: ١٤-١٩) . إلى آخر السورة .

قلت : بأبي وأمي أوصني ، قال : (( أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك كله )) ، قال : قلت زدني ، قال : (( عليك بتلاوة القرآن واذكر الله كثيراً فإنه يذكرك في السماء )) ، قلت زدني ، قال : (( عليك بالصمت فإنه مطردة للشياطين عنك ، وعون لك على أمر دينك )) ، قلت زدني ، قال : (( قل الحق ولو كان مرأاً )) ، قلت زدني ، قال : (( لا تأخذك في الله لومة لائم )) ، قلت زدني ، قال : (( صل رحمك وإن قطعوك )) ، قلت زدني ، قال : (( بحسب امرئ من الشر ما جهل من نفسه ، ويتكلف ما لا يعنيه . يا أبا ذر : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسن كحسن الخلق )) .

### الحديث الثالث عشر

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". (رواه البخاري ومسلم)

#### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )): الأولى أن يحمل ذلك على عموم الأخوة ، حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام ، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام ، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً، والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عن من لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه . والمراد بالمحبة إرادة الخير والمنفعة، ثم المراد: المحبة الدينية لا المحبة البشرية ، فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتمييز غيرها عليها ، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه ، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً .

والحسد كما قال الغزالي: ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه .

الثاني : أن يتمنى زوال نعمة الغير وإن لم تحصل له كما إذا كان عنده مثلها أو لم يكن يحبها ، وهذا أشر من الأول .

الثالث: أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ولكن يكره ارتفاعه عليه في الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة ، وهذا أيضاً محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى: { **أهم يقسمون رحمة ربك؟! نحن قسمنا معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون** } [الزخرف: ٣٢]. فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى في قسمته وحكمته. وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضى بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس.

### الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". (رواه البخاري ومسلم)

#### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **الثيب الزاني** )) المراد : من تزوج ووطئ في نكاح صحيح ثم زنا بعد ذلك ، فإنه يرجم ، وإن لم يكن متزوجاً في حالة الزنا لاتصافه بالإحصان .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( والنفس بالنفس )) أي بشرط المكافأة فلا يقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد عند الشافعية ، لا الحنفية.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( والتارك لدينه المفارق للجماعة )) وهو المرتد والعياذ بالله تعالى ، وقد يكون موافقاً للجماعة كاليهودي إذا تنصر ، وبالعكس يقتل لأنه تارك لدينه غير مفارق للجماعة ، وفيه قولان ، أصحها : لا يقتل بل يلحق بالمؤمن . والثاني : يقتل لأنه اعتقد بطلان دينه الذي كان عليه وانتقل إلى دين كان يرى بطلانه قبل ذلك ، وهو غير الحق فلا يترك بل إن لم يسلم يقتل ، وقد تقدم القتل أيضاً في صورة سبق الكلام عليها.

### الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت )) قال الشافعي رحمه الله تعالى : معنى الحديث : إذا أراد أن يتكلم فليفكر ، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم ، وإن ظهر أن فيه ضرر أو شك فيه أمسك . وقال الإمام الجليل أبو محمد ابن أبي زيد إمام المالكية بالمغرب في زمنه : جميع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت )) . وقوله صلى الله عليه وسلم : (( من حسن المرء تركه ما لا يعنيه )) . وقوله صلى الله عليه وسلم : للذي اختصر له الوصية : (( لا تغضب )) . وقوله : (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )) .

ونقل عن أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أنه قال : السكوت في وقته صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال . قال : وسمعت أبا علي الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس . وكذا نقله في (( حلية العلماء )) عن غير واحد . وفي (( حلية الأولياء )) أن الإنسان ينبغي له أن لا يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه ، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه وقال : لو كنتم تشترون الكاغد للحفظ لسكنتم عن كثير من الكلام . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه )) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( العافية في عشرة أجزاء : تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله تعالى عز وجل )) . ويقال : من سكت فسلم ، كمن قال فغم . وقيل لبعضهم : لم لزمتم السكوت ؟ قال : لأن لم أندم على السكوت قط ، وقد ندمت على الكلام مراراً . ومما قيل : جرح اللسان كجرح اليد ، وقيل : اللسان كلب عقور إن خلى عنه عقر . وروي عن علي رضي الله عنه .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه )) .

قال القاضي عياض : معنى الحديث : أن من التزم شرائع الإسلام ، لزمه إكرام الضيف والجار . وقد قال صلى الله عليه وسلم: (( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه )) . وقال صلى الله عليه وسلم (( من آذى جاره ملكه الله داره )) . وقوله تعالى : {والجار ذي القربى والجار الجنب} [النساء: ٣٦] .

الجار يقع على أربعة : الساكن معك في البيت . قال الشاعر: أجاتنا بالبيت إنك طالق

ويقع على من لاصق لبيتك، ويقع على أربعين داراً من كل جانب، ويقع على من يسكن معك في البلد ، قال الله تعالى : {ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً} [الأحزاب: ٦] فالجار القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان ، وغير القريب المسلم له حق واحد .

والضيافة من آداب الإسلام ، وخلق النبيين والصالحين ، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة ، واختلفوا : أهل الضيافة على الحاضر والبادي ، أم على البادي خاصة ؟ فذهب الشافعي ، ومحمد بن عبد الحكم إلى أنها على الحاضر والبادي . وذهب مالك وسحنون : إلى أنها على أهل البوادي ، لأن المسافر يجد في الحضر المنازل في القنادق ومواضع النزول وما يشتري من الأسواق وقد جاء في حديث : (( الضيافة على أهل الوبر وليست على أهل المدر )) .

لكنه حديث موضوع.

### الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : أوصني، قال: "لا تغضب"، فردّد مراراً، قال: "لا تغضب". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم (( لا تغضب )) معناه لا تنتفخ غضبك ، وليس النهي راجعاً إلى نفس الغضب ، لأنه من طباع البشر ، ولا يمكن الإنسان دفعه .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (( إياكم والغضب فإنه جمرة تتوقد في فؤاد ابن آدم ، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضع أو ليلصق بالأرض )) .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمني علماً يقربني من الجنة ويبعدني من النار قال: (( لا تغضب ولك الجنة )) . وقال صلى الله عليه وسلم : (( إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفئ النار الماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ )) .

وقال أبو ذر الغفاري : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضج )) .

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحي بن زكريا عليه الصلاة والسلام : إني معلمك علماً نافعاً : لا تغضب . فقال : وكيف لي أن لا أغضب ؟ قال إذا قيل لك ما فيك فقل : ذنب ذكرته أستغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به ، وهي حسنة سيقت إليك .

وقال عمرو بن العاص : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يبعدني عن غضب الله تعالى قال : (( لا تغضب )) .

وقال لقمان لأبنيه : إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه ، فإن أنصفك وهو مغضب ، وإلا فاحذره .

### الحديث السابع عشر

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : "إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ؛ وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته" . (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله كتب الإحسان على كل شيء )) من جملة الإحسان عند قتل المسلم في القصاص أن يتفقد آلة القصاص ، ولا يقتل بآلة كالة ، وكذلك يحد الشفرة عند الذبح ، ويريح البهيمة ، ولا يقطع منها شيء حتى تموت ، ولا يحد السكين قبالتها ، وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح ، ولا يذبح اللبون ، ولا ذات الولد ، حتى يستغني عن اللبن . وإن لا يستقصي في الحلب ، ويقلم أظفاره عند الحلب ، قالوا : ولا يذبح واحدة قدام أخرى .

### الحديث الثامن عشر

عن أبي نر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : "اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن" . (رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( اتق الله حيثما كنت )) أي اتقه في الخلوة كما تتقيه في الجلوة بحضرة الناس ، واتقه في سائر الأمكنة والأزمنة . مما يعين على التقوى استحضر أن الله تعالى مطلع على العبد في سائر أحواله ، قال الله تعالى : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم يُنَبِّئهم بما عملوا يوم القيامة إنَّ الله بكل شيء عليم } [المجادلة: ٧] . والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (( وأتبع السيئة الحسنة تمحها )) أي إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل بعدها حسنة تمحها .

اعلم : أن ظاهر هذا الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة ، وإن كانت الحسنة بعشر ، وأن التضيق لا يمحو السيئة ، وليس هذا على ظاهره ، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات . وقد ورد في الحديث ما يشهد لذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (( تكبرون دبر كل الصلاة عشراً وتحمدون عشراً وتسبحون عشراً فذلك مائة وخمسون باللسان وألف وخمسمائة في الميزان )) .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : (( أيكم يفعل في اليوم الواحد ألفاً وخمسمائة سيئة )) دل على أن التضيق يمحو السيئات . وظاهر الحديث : أن الحسنة تمحو السيئة المتعلقة بحق الله تعالى ، أما السيئة المتعلقة بحق العباد من الغضب والغيبة والنميمة ، فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، ولا بد أن يعين له جهة الظلماة ، فيقول : قلت عليك كيت وكيت .

وفي الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة ، قال صلى الله عليه وسلم : (( حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا )) . وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتتقن أنفسكم ما قدمت لغيركم } [الحشر: ١٨] .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( وخالق الناس بخلق حسن )) .. اعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس ، وإلى كف الأذى عنهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (( إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق )) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : (( خيركم أحسنكم أخلاقاً )) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : (( أن رجلاً أتاه فقال : يا رسول الله ما أفضل الأعمال ؟ قال : (( حسن الخلق )) ، وهو على ما مر أن لا تغضب .

ويقال : اشتكى نبي إلى ربه سوء خلق امرأته ، فأوحى الله إليه : قد جعلت ذلك حظك من الأذى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ، وخيارهم خيارهم لنسائهم )) .

وعنه صلى الله عليه وسلم : (( إن الله اختار لكم الإسلام ديناً فأكرموا به حسن الخلق والسخاء ، فإنه لا يكمل إلا بها )) .

وقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } [الأعراف : ١٩٩] .

قال في تفسير ذلك : أن تعفو عن ظلمك ، وتصل من قطعك وتعطي من حرمك .

وقال الله تعالى: { **أدْفَعْ بآلْتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** } [فصلت: ٣٤].

وقيل في تفسير قوله تعالى: { **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** } [القلم: ٤].

قال: كان خلقه القرآن، يأتى بأمره وينزجر بزواجه، ويرضى لرضاه، ويسخط لسخطه صلى الله عليه وسلم.

### الحديث التاسع عشر

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) يوماً، فقال لي: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم وجفت الصحف". (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)

وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً".

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **احفظ الله يحفظك** )) أي احفظ أوامره وامثلها، وانتبه عن نواهيه، يحفظك في تقلباتكم ودنياكم وآخرتكم قال الله تعالى: { **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه** **حياة طيبة** } [النحل: ٩٧]. وما يحصل للعبد من البلاء والمصائب بسبب تضييع أوامر الله تعالى، قال الله تعالى: { **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** } [الشورى: ٣٠].

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **تجده تجاهك** )) أي أمامك، قال صلى الله عليه وسلم: (( **تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** )) وقد نص الله تعالى في كتابه: أن العمل الصالح ينفع في الشدة وينجي فاعله، وأن عمل المصائب يؤدي بصاحبه إلى الشدة، قال الله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام: { **قلو لا أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون** } [الصافات: ١٤٣-١٤٤]. ولما قال فرعون: { **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** } قال الملك: { **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** } [يونس: ٩٠-٩١].

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **إذا سألت فاسأل الله** )) إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه في سائر أموره، ثم إن كانت الحاجة التي يسألها لم تجر العادة بجرياتها على أيدي خلقه: كطلب الهداية، والعلم، والفهم في القرآن والسنة، وشفاء المرض، وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، سأل ربه ذلك. وإن كانت الحاجة التي يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه، كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصناعات وولاية الأمور، سأل الله تعالى أن

يعطف عليه قلوبهم فيقول : اللهم حنن علينا قلوب عبادك وإمائك ، و ما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى باستغناؤه عن الخلق لأنه صلى الله عليه وسلم سمع علياً يقول : **اللهم اغننا عن خلقك فقال : (( لا تقل هكذا فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ، ولكن قل : اللهم اغننا عن شرار خلقك ))** وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم ، ويروى عن الله تعالى في الكتب المنزلة : أيقرع بالخواطر باب غيري وبابي مفتوح ؟ أم هل يؤمل للشدائد سواي وأنا الملك القادر ؟ لأكسون من أمل غيري ثوب المذلة بين الناس ... الخ .

قوله: **(( واعلم أن الأمة ))** الخ ، لما كان قد يطمع في بر من يحبه ويخاف شر من يحذره ، قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله : **{وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله}** [يونس:١٠٧]. ولا ينافي هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام : **{فأخاف أن يقتلون}** [الشعراء:١٤]. [والقصص:٣٣]. وقوله تعالى : **{إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى}** [طه:٤٥]. وكذا قوله : **{خذوا حذرکم}** [النساء:٧١] إلى غير ذلك.

بل السلامة بقدر الله ، والعطب بقدر الله ، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالى: **{ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}** [البقرة:١٩٥].

قوله صلى الله عليه وسلم : **((واعلم أن النصر مع الصبر ))** قال صلى عليه وسلم : **(( لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا ، فإن الله مع الصابرين ))**.. وكذلك الصبر على الأذى في موطن يعقبه النصر.

قوله صلى الله عليه وسلم : **(( وأن الفرج مع الكرب ))** والكرب هو شدة البلاء ، فإذا اشتد البلاء أعقبه الله تعالى الفرج كما قيل : اشتدي أزمة تنفرجي.

قوله صلى الله عليه وسلم : **(( وأن مع العسر يسراً ))** قد جاء في حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال : **(( لن يغلب عسر يسرين ))** وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين ، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت النكرة تعددت فالعسر ذكر مرتين معرفاً ، واليسر مرتين منكرًا فكان ، اثنين فلهذا قال صلى الله عليه وسلم : **(( لن يغلب عسر يسرين ))**.

### الحديث العشرون

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البديري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". (رواه البخاري)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : **(( اذا لم تستح فاصنع ما شئت ))** معناه: إذا أردت فعل شيء ، فإن كان مما لا تستحي من فعله من الله ، ولا من الناس فافعله ، وإلا فلا. وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله

، وعلى هذا يكون قوله صلى الله عليه وسلم: ((**فاصنع ما شئت** )) أمر بإباحة ، لأن الفعل إذا لم يكن منهيًا عنه شرعاً كان مباحاً .

ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحي من الله ولا تراقبه فاعط نفسك مناها وافعل ما تشاء ، فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة ، ويكون كقوله تعالى: **{اعملوا ما شئتم}** [فصلت: ٤٠]. وكقوله تعالى: **{واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً}** [الإسراء: ٦٤].

### الحديث الحادي والعشرون

عن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنتم بالله ثم استقم". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: ((**قل آمنتم بالله ثم استقم**)) أي كما أمرت ونهيت ، والاستقامة ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات ، قال الله تعالى: **{فاستقم كما أمرت ومن تاب معك}** [هود: ١١٢]. وقال الله تعالى: **{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة}** [فصلت: ٣٠]. أي عند الموت تبشرهم بقوله تعالى: **{لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون}** [فصلت: ٣٠].

وفي التفسير أنهم إذا بشروا بالجنة قالوا: وأولادنا ما يأكلون وما حالهم بعدنا؟ فيقال لهم: **{نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة}**. [فصلت: ٣١] أي ننولى أمرهم بعدكم، فتقر بذلك أعينهم.

### الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: "أن رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة؟ قال: نعم". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته، ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حله.

ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته . ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حله.

قوله : ((**أرأيت ... إلخ** )) معناه : أخبرني.

وقوله : ((**وأحللت الحلال** )) أي اعتقدته حلالاً وفعلت منه الواجبات ، ((**وحرمت الحرام** )) أي اعتقدته حراماً ولم أفعله. وقوله صلى الله عليه وسلم : ((**نعم** )) أي تدخل الجنة.

## الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **الظهور شطر الإيمان** )) فسر الغزالي الظهور : **بطهارة القلب من الغل والحسد والحقد وسائر أمراض القلب** . وذلك أن الإيمان الكامل إنما يتم بذلك ، فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر ، ومن طهر قلبه من بقية الأمراض كمل إيمانه ، ومن لم يطهر قلبه فقد نقص إيمانه .

قال بعضهم: ومن طهر قلبه وتوضأ وغتسل وصلى ، فقد دخل الصلاة بالطهارتين جميعاً، ومن دخل في الصلاة بطهارة الأعضاء خاصة فقد دخل بإحدى الطهارتين، والله سبحانه وتعالى لا ينظر إلا إلى طهارة القلب لقوله صلى الله عليه وسلم: (( **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم ولكن ينظر إلى قلوبكم** )) .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض** )) وهذا قد يشكل على الحديث الآخر وهو أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : (( يا رب دلني على عمل يدخلني الجنة ؟ قال : يا موسى قل : لا إله إلا الله ، فلو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهم لا إله إلا الله )) . ومعلوم أن السموات والأرضين أوسع مما بين السماء والأرض، وإذا كانت الحمد لله تملأ الميزان وزيادة ، لزم أن تكونا لحمد الله تملأ ما بين السماء والأرض لأن الميزان أوسع مما بين السماء الأرض ، و الحمد لله تملؤها . والمراد لو كان جسماً لملأ الميزان ، أو أن ثواب الحمد لله يملؤها .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **والصلاة نور** )) أي ثوابها نور وفي الحديث: (( **بشِّرَ الماشين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** )) .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **والصدقة برهان** )) أي دليل على صحة إيمان صاحبها ، وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه ، وذلك أن المنافق قد يصلي ، ولا تسهل عليه الصدقة غالباً .

وقوله صلى الله عليه وسلم: (( **والصبر ضياء** )) أي الصبر المحبوب ، وهو الصبر على طاعة الله ، والبلاء ومكاره الدنيا ، ومعناه : لا يزال صاحبه مستمراً على الصواب .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **كل الناس يغدو فبائع نفسه** )) معناه كل إنسان يسعى لنفسه ، فمنهم من يبيعه الله بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعه للشيطان والهوى باتباعهما (( **فيوبقها** )) أي يهلكها، قال عليه الصلاة والسلام: (( **من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملكتك وأتبياعك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك** )) .

ونبيك، أعتق الله ربه من النار ، فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ، فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، فإن قالها أربعاً أعتق الله كله من النار)).

فإن قيل : المالك إذا أتق بعض عبده سرى العتق إلى باقيه والله تعالى أعتق الربع الأول فلم يسر عليه وكذلك الباقي.

فالجواب: إن السراية قهرية ، والله تعالى لا تقع عليه الأشياء القهرية بخلاف غيره ، ولا يقع في حكمه سبحانه ما لا يريد ، قال الله تعالى :{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيلِ الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم }[التوبة:١١١].

قال بعض العلماء : لم يقع بيع أشرف من هذا ، وذلك أن المشتري هو الله ، و البائع المؤمنون ، والمبيع الأنفس ، والثلث الجنة.

وفي الآية دليل على أن البائع يجبر أولاً على تسليم السلعة قبل أن يقبض الثمن ، وأن المشتري لا يجبر أولاً على تسليم الثمن.

وذلك أن الله تعالى أوجب على المؤمنين الجهاد حتى يقتلوا في سبيل الله فأوجب عليهم أن يسلموا الأنفس المبيعة ويأخذوا الجنة . فإن قيل : كيف يشتري السيد من عبده أنفسهم ، و الأنفس ملك له ؟! قيل : كاتبهم ثم اشترى منهم ، والله تعالى أوجب عليهم الصلوات الخمس والصوم وغير ذلك ، فإذا أدوا ذلك فهم أحرار ، و الله تعالى أعلم.

#### الحديث الرابع والعشرون

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه -عز وجل- أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا. يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلّم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلّم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني؛ فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه". (رواه مسلم)

قوله عز وجل : (( **إني حرمت الظلم على نفسي** )) أي تقدست عنه ، والظلم مستحيل في حق الله تعالى ، فإن الظلم مجاوزة الحد والتصرف في ملك الغير وهما جميعاً محال في حق الله تعالى .

قوله تعالى : (( **فلا تظالموا** )) أي فلا يظلم بعضكم بعضاً .

قوله تعالى : (( **إنكم تخطأون بالليل والنهار** )) بفتح التاء والطاء على أنه من خطيء بفتح الخاء وكسر الطاء يخطأ في المضارع ، ويجوز فيه ضم التاء على أنه من أخطاء ، والخطأ يستعمل في العمد والسهو ولا يصح إنكار هذه اللغة ويرد عليه قوله تعالى : { **إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** } [الإسراء: ٣١] . بفتح الخاء والطاء وقرئء (( **خطئاً كبيراً** )) أيضاً .

قوله تعالى : (( **لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم** ))...إلخ دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغن في ذاته عن كل شيء ، وأنه تعالى لا يتكثر بشيء من مخلوقاته ، وقد بين الله تعالى أن له ملك السماوات والأرض وما بينهما ، ثم بين أنهم مستغن عن ذلك قال تعالى : { **يخلق الله ما يشاء** } [آل عمران: ٤٧] . وهو قادر على أن يذهب هذا الوجود ويخلق غيره ، ومن قدر على أن يخلق كل شيء ، فقد استغنى عن كل موجود ، ثم بين سبحانه وتعالى أنه مستغن عن الشريك فقال تعالى : { **ولم يكن له شريك في الملك** } . ثم بين سبحانه وتعالى أنه مستغن عن المعين والظهير فقال تعالى : { **ولم يكن له ولي من الدل** } [الإسراء: ١١١] . فوصف العز ثابت أبداً ، ووصف الدل منتف عنه تعالى ، ومن كان كذلك فهو مستغن عن طاعة المطيع ، ولو أن الخلق كلهم أطاعوا كطاعة أتقى رجل منهم ، وبادروا إلى أوامره ونواهيه ولم يخالفوه ، لم يتكثر سبحانه وتعالى بذلك ، ولا يكون ذلك زيادة في ملكه ، وطاعتهم إنما حصلت بتوفيقه وإعنته ، وطاعتهم نعمة منه عليهم ، ولو إنهم كلهم عصوه كمعصية أفجر رجل وهو إبليس ، وخالفوه أمره ونهيه لم يضره ذلك ولم ينقص ذلك من كمال ملكه شيئاً ، فإنه لو شاء أهلكتهم وخلق غيرهم فسبحان من لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية .

قوله تعالى : (( **فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** )) ومعلوم أن المخيط وهو الإبرة وذلك في المشاهدة لا تنقص من البحر شيئاً ، والذي يتعلق بالمخيط لا يظهر له أثر في المشاهدة ولا الوزن .

قوله تعالى : (( **فمن وجد خيراً فليحمد الله** )) أي على توفيقه لطاعته .

قوله تعالى : (( **ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** )) حيث اعطاها مناها واتبع هواها .

## الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً: أن ناساً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله: قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: (( أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر )) اعلم أن شهوة الجماع أحبها الأنبياء والصالحون ، قالوا : لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية من غضّ البصر وكسر الشهوة عن الزنا وحصول النسل الذي تتم به عمارة الدنيا وتكثر الأمة إلى يوم القيامة ، قالوا : وسائر الشهوات يقسي تعاطيها القلب ، إلا هذه فإنها ترقق القلب .

## الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة". (رواه البخاري ومسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( كل سلامى من الناس عليه صدقة )) والسلامى أعضاء الإنسان ، وذكر أنها ثلاث مائة وستون عضواً منها صدقة كل يوم ، وكل عمل بر من تسبيح أو تهليل أو تكبير أو خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، فمن أدى هذه في أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقيته .

وجاء في الحديث: (( أن ركعتين من الضحى تقوم مقام ذلك )) .

وفي الحديث: (( يقول الله تعالى : يا ابن آدم صلّ لي أربع ركعات في أول اليوم أكفك في أول اليوم وأكفك في آخره )) .

## الحديث السابع والعشرون

عن النّوأس بن سمعان رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس". (رواه مسلم)

وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك". (حديث حسن روينا في مسندي الإمامين: أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( البر حسن الخلق )) وقد تقدم الكلام في حسن الخلق ، قال ابن عمر : البر أمر هين ، وجه طلق ولسان لين . وقد ذكر الله تعالى آية جمعت أنواع البر فقال تعالى : **{ولكن البرّ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر}** [البقرة ١٧٧].

قوله صلى الله عليه وسلم: (( والإثم ما حاك في نفسك )) أي اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله ، وفي الحديث دليل على أن الإنسان يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شيء فإن اطمأنت عليه النفس فعله وإن لم تطمئن تركه ، وقد تقدم الكلام على الشبهة في حديث (( الحلال بين والحرام بين )) . ويروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا، منها أنه قال: **إذا أردتم فعل شيء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإنني لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبي عند الأكل . ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فاتظروا في عاقبته فإنني لو نظرت في عاقبة الأكل ما أكلت من الشجرة . ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فاستشيروا الأخيار فإنني لو استشرت الملائكة لأشاروا عليّ بترك الأكل من الشجرة .**

قوله صلى الله عليه وسلم: (( وكرهت أن يطلع عليه الناس )) لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة وعلى أخذها وعلى نكاح امرأة قد قيل إنها أرضعت معه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (( كيف وقد قيل )) . وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس ، ومثال الحرام الأكل من مال الغير ، فإن يجوز إن كان يتحقق رضاه ، فإن شك في رضاه حرم الأكل ، وكذلك التصرف في الوديعة بغير إذن صاحبها ، فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه ، وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه .

قوله صلى الله عليه وسلم: (( ما حاك في النفس ، وإن أفتاك الناس وأفتوك )) .

مثاله الهدية إذا جاءتك من شخص ، غالب ماله حرام ، وترددت النفس في حلها ، وأفتاك المفتي بحل الأكل فإن الفتوى لاتزيل الشبهة ، وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة ، فإن المفتي إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة ، بل ينبغي الورع وإن أفتاه الناس ، والله أعلم .

## الحديث الثامن والعشرون

عن أبي نجیح العرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح)

### شرح وفوائد الحديث

قوله: ((وعظنا)) الوعظ هو التخويف.

قوله: ((وذرفت منها العيون)) أي بكت ودمعت.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي)) أي عند اختلاف الأمور الزموا سنتي، وعضوا عليها بالنواجذ وهي مؤخر الأضراس وقيل: الأتياب، والإنسان متى عض بنواجذه كأن يجمع أسنانه فيكون مبالغة، فمن العض على السنة الأخذ بها وعدم اتباع آراء أهل الأهواء والبدع، وعضوا: فعل أمر من عض يعض، وهو بفتح العين، وضمها لحن، ولذلك تقول: ير أمك يازيد، لأنه من ير يبر ولا تقول، ير إمك بضم الباء.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)) رضي الله عنهم، يريد الأربعة وهم: أبوبكر، وعمر وعثمان، وعلي.

## الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: كفّ عليك هذا، قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)

## شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **وذرون سنامة** )) أي أعلاه ، و(( **ملاك الشيء** )) بكسر الميم: أي مقصوده.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **ثكلتك أمك** )) أي فقدتك ، ولم يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الدعاء بل جرى ذلك على عادة العرب في المخاطبات ، و(( **حصائد أسنتهم** )) جنباياتها على الناس بالوقوع في أعراضهم والمشى بالنميمة ونحو ذلك ، وجنبايات اللسان : الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وكلمة الكفر والسخرية وخلف الوعد ، قال الله تعالى: { **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** } [الصف: ٣٠].

## الحديث الثلاثون

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها". (حديث حسن رواه الدارقطني وغيره)

## شرح وفوائد الحديث

وقوله صلى الله عليه وسلم: (( **حرم أشياء فلا تنتهكوها** )) أي فلا تدخلوا فيها.

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **وسكت عن أشياء رحمة لكم** )) تقدم معناه.

## الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس". (حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة)

## شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **ازهد في الدنيا يحبك الله** )) الزهد : ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا ، وإن كان حلالاً ، و الإقتصار على الكفاية ، والورع : ترك الشبهات قالوا : وأعقل الناس الزهاد ، لأنهم أحبوا ما أحب الله ، وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا ، واستعلموا الراحة لأنفسهم . قال الشافعي رحمه الله تعالى : **لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد**.

أو ما ترى الخطاف حرم زادهم --- فغداً رئيساً في الحجور قريباً

وللشافعي رضي الله عنه في ذم الدنيا قوله : (( حرام على نفس التقى ارتكابها )) يدل على تحريم الفرح بالدنيا ، وقد صرح بذلك البيهقي في تفسير قوله تعالى : { **وفرحوا بالحياة الدنيا** } [الرعد: ٢٦]. ثم المراد بالدنيا بالمذمومة : طلب الزائد على الكفاية ، أما طلب الكفاية فواجب ، قال بعضهم : وليس ذلك من الدنيا ، وأما الدنيا فالزائدة على الكفاية ، واستدل بقوله تعالى : { **زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ** } **والْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** } **والله عنده حسن المآب** } [آل عمران : ١٤]. فقوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم من طلب التوسع والتبسط ، قال الشافعي رحمه تعالى : **طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد** . ثم بعد ذلك إذا فرح بها لأجل المباهاة والتفاخر والتطاول على الناس فهو مذموم ، ومن فرح بها لكونها من فضل الله عليه فهو محمود.

قال عمر رضي الله عنه : **اللهم إنا لا نفرح إلا بما رزقتنا** .

وقد الله تعالى المقتصد في العيش فقال تعالى : **{والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً}** [الفرقان: ٦٧].

وقال صلى الله عليه وسلم : (( **ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، ولا افتقر من اقتصد** )) . وكان يقال : **القصدي في المعيشة يكفي عنك نصف المؤنة ، والاقتصاد : الرضى بالكفاية ، قال بعض الصالحين : من اكتسب طيباً وأنفق قصداً قدم فضلاً** .

### الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : **"لا ضرر ولا ضرار"** . (حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً ، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضاً)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **لا ضرار** )) أي لا يضر أحدكم أحداً بغير حق ولا جناية سابقة.

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **ولا ضرار** )) أي لا تضر من ضرك ، وإذا سبك أحد فلا تسبه ، وإن ضريك فلا تضربه ، بل اطلب حقه منه عند الحاكم من غير مسابرة ، وإذا تساب رجلاً لم تحصل التقاص ، بل كل واحد يأخذ حقه بالحاكم ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال : (( **للمتسابين ما قالوا ، وعلى البادي منهما الإثم ، ما لم يعتد المظلوم بسبب زائد** )) .

## الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر". (حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم ((البينة على المدعي واليمين على من أنكر)) إنما كانت البينة على المدعي لأنه يدعي خلاف الظاهر والأصل براءة الذمة ، وإنما كانت اليمين في جانب المدعي عليه لأنه يدعي ما وافق الأصل وهو براءة الذمة .

ويستثنى مسائل ، فيقبل المدعي بلا بينة فيما لا يعلم إلا من جهته كدعوى الأب حاجة إلى الإعفاف ، ودعوى السفية التوفيق إلى النكاح مع القرينة، ودعوى الخنثى الأنوثة والذكورة ، ودعوى الطفل البلوغ بالاحتلام ، ودعوى القريب عدم المال ليأخذ النفقة ، ودعوى المدين الإعسار في دين لزمه بلا مقابل ، كصداق الزوجة ، و الضمان ، وقيمة المتلف ، و دعوى المرأة انقضاء العدة بالإقراء ، أو بوضع الحمل ، ودعواها أنها استحلّت وطلقت ، ودعوى المودع تلف الوديعة أو ضياعها بسرقة ونحوها .

ويستثنى أيضاً: القسامة فإن الإيمان يكون في جانب المدعي مع اللوث ، واللعان فإن الزوج يقذف ويلعن ويسقط عنه الحدود ، و دعوى الوطء في مدة اللعنة ، فإن المرأة إذا أنكرته يصدق الزوج بدعواه ، إلا أن تكون الزوجة بكرًا ، وكذا لو ادعى أنه وطئ في مدة الإيلاء ، وتارك الصلاة إذا قال : صليت في البيت ، ومانع الزكاة إذا قال : أخرجتها إلا أن ينكر الفقراء وهم محصورون فعليه البينة ، وكذا لو ادعى الفقر وطلب الزكاة أعطي ولا يحلف ، بخلاف ما إذا ادعى العيال فإنه يحتاج إلى البينة ، ولو أكل في يوم الثلاثين من رمضان وادعى أنه رأى الهلال لم يقبل منه إن ادعى ذلك بعد الأكل ، فإنه ينفي عن نفسه التعزير ، وإذا ادعى ذلك قبل الأكل قبل ولم يعزر ، وينبغي أن يأكل سراً لأن شهادته وحده لا تقبل.

قوله صلى الله عليه وسلم (( واليمين على من أنكر )) هذه اليمين تسمى يمين الصبر ، وتسمى الغموس ، وسميت يمين الصبر لأنها تحبس صاحب الحق عن حقه والحبس : الصبر ، ومنه قيل للقتيل والمحبوس عن الدفن مصبر ، قال صلى الله عليه وسلم : (( من حلف على يمين صبر يقطع به مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي وهو عليه غضبان )) وهذه اليمين لا تكون إلا على الماضي ، ووقعت في القرآن العظيم في مواضع كثيرة : منها قوله تعالى : {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا } [التوبة: ٧٤] ، ومنها قوله تعالى إخباراً عن الكفرة : {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين } [الأأنعام: ٢٣] . ومنها قوله تعالى : {إن الذين يشتركون بالله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم } [آل عمران: ٧٧] .

ويستحب للحاكم أن يقرأ هذه الآية عن تحليفه للخصم لينزجر .

## الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **وذلك أضعف الإيمان** )) ليس المراد أن العاجز إذا أنكر بقلبه يكون إيمانه أضعف من إيمان غيره ، وإنما المراد أن ذلك أدنى الإيمان وذلك أن العمل ثمرة الإيمان ، وأعلى ثمرة الإيمان في باب النهي عن المنكر أن ينهي بيده ، وإن قتل كان شهيداً، قال الله تعالى حاكياً عن لقمان: **{يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}** [لقمان: ١٧] ويجب النهي على القادر باللسان وإن لم يسمع منه ، كما إذا علم أنه إذا سلم لا يُرد عليه السلام فإنه يسلم.

فإن قيل قوله صلى الله عليه وسلم: (( **فإن، لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه** )) يقتضي أن غير المستطيع لا يجوز له التغيير بغير القلب والأمر للوجوب . فجوابه من وجهين : احدهما أن المفهوم مخصص بقوله تعالى: **{وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}** .

والثاني أن الأمر فيه يعني رفع الحرج لا رفع المستحب. فإن قيل الإنكار بالقلب ليس تغيير المنكر فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم (( **فبقلبه** )) .

فجوابه : أن المراد أن ينكر ذلك ولا يرضاه ويشغل بذكر الله ، وقد مدح الله تعالى العاملين بذلك فقال: **{وَإِذَا مَرَأُوا بِاللَّغْوِ مَرُوءًا كَرَامًا}** [الفرقان: ٧٢].

## الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه". (رواه مسلم)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **لا تحاسدوا** )) قد تقدم أن الحسد على ثلاثة أنواع . والنجش: أصله الارتفاع والزيادة ، وهو أن يزيد في ثمن سلعة ليغير غيره ، وهو حرام ، لأنه غش وخديعة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (( **ولا تدابروا** )) أي لا يهجر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه دبره أو ظهره قال صلى الله عليه وسلم: (( **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** )) .

والبيع على بيع أخيه ، صورته : أن يبيع أخوه شيئاً فيأمر المشتري بالفسخ لبيعه مثله أ و أحسن منه بأقبل من ثمن ذلك ، والشراء على الشراء حرام : بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتره منه بأعلى ثمن ، وكذلك يحرم السوم على سوم أخيه ، وكل هذا داخل في الحديث لحصول المعنى ، و هو التباغض والتدابير ، وتقيد النهي ببيع أخيه يقتضي أنه لا يحرم على بيع الكافر ، وهو وجه لابن خالويه ، والصحيح لا فرق لأنه من باب الوفاء بالذمة والعهد .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **التقوى ههنا** )) وأشار بيده إلى صدره وأراد القلب ، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : (( **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله** )) قوله صلى الله عليه وسلم : (( **ولا يخذله** )) أي عند أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر ، أو عند مطالبته بحق من الحقوق ، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (( **ولا يحقره** )) أي فلا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره ، بل يحكم على غيره بأنه خير منه ، أو لا يحكم بشيء فإن العاقبة منطوية ولا يدري العبد بما يختم له ، فإذا رأى صغيراً مسلماً حكم بأنه خير منه باعتبار أنه أخف ذنباً منه ، وإن رأى من هو أكبر سنّاً منه حكم له بالخيرية باعتبار أنه أقدم هجره مه في الإسلام ، وإن رأى كافراً لم يقطع له بالنار لا حتمال أنه يسلم فيموت مسلماً .

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **بحسب امرئ من الشر** )) . أي يكفي من الشر (( **أن يحقر أخاه** )) يعني أن هذا شر عظيم يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب ..

قوله صلى الله عليه وسلم : (( **كل المسلم إلخ** )) قال في حجة الوداع : (( **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا** )) . واستدل الكرابيسي بهذا الحديث على أن الغيبة الوقوع في عرض المسلمين كبيرة إما لدلالة الاقتران بالدم والمال إما لتشبيهه بقوله : (( **كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** )) وقد توعد الله تعالى بالعذاب الأليم عليه فقال تعالى : (( **وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ** )) {الحج: ٢٥} .

### الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من نَفَسَ عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه". (رواه مسلم بهذا اللفظ)

قوله صلى الله عليه وسلم: (( من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة )) فيه دليل على استحباب خلاص الأسير من أيدي الكفار بماله يعطيه ، و على تخلص المسلم من أيدي الظلمة وخلصه من السجن . يقال : إن يوسف عليه السلام لما خرج من السجن كتب على بابهِ : (( هذا قبر الأحياء ، وشماتة الأعداء ، وتجربة الأصدقاء )) . ويدخل في هذا الباب الضمان عن المعسر ، والكفالة ببذنه ، لمن هو قادر عليه ، أما العاجز فلا ينبغي له ذلك ، وقال بعض أصحاب القفال : إن في التوراة مكتوباً : (( الكفالة مذمومة )) أولها ندامة وأوسطها ملامة ، وآخرها غرامة )) . فإن قيل : قال الله تعالى : { ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } [الأنعام: ١٦٠] . وهذا الحديث يدل على أن الحسنة يمثلها لأنها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ، و لم تقابل بعشر كرب من يوم القيامة .

فجوابه من وجهين : أحدهما أن هذا من باب مفهوم العدد ، والحكم المعلق بعدد لا يدل على نفي الزيادة والنقصان .

والثاني : أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمّة ، وتلك الأهوال تزيد على العشرة وأضعافها . وفي الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق اللزوم للملزوم ، وذلك أن فيه وعداً بإخبار الصادق : أن من نفس الكربة عن المسلم يختم له بخير ، ويموت على الإسلام ، لأن الكفار لا يرحم في دار الآخرة ولا ينفس عنه من كربه شيء ، ففي الحديث إشارة إلى بشارته تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الإمارة ، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون {لمثل هذا فليعمل العاملون} [الصفّات: ٦١] . فأفضل العمل تنفيس الكرب .

وفي الحديث دليل على استحباب ستر المسلم إذا اطلع عليه أنه عمل فاحشة قال الله تعالى : { إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة } [النور: ١٩] . والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنباً أن يستر على نفسه ، وأما شهود الزنا ، فاختلف فيهم على وجهين ، أحدهما : يستحب لهم الستر ، والثاني : الشهادة .

وفصل بعضهم فقال : إن رأوا مصلحة في الشهادة شهدوا ، أو في الستر ستروا .

وفي الحديث دليل على استحباب المشي في طلب العلم ، ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام : أن خذ عصا من حديد ونعلين من حديد وامش في طلب العلم حتى يتخرق النعلان وتتكسر العصا .

وفيه دليل على خدمة العلماء وملازمتهم والسفر معهم واكتساب العلم منهم ، قال الله تعالى حاكياً عن موسى عليه الصلاة والسلام : { هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً } [الكهف: ٦٦] .

وعلم أن هذا الحديث له شرائط ، منها العمل بما يعلمه ، وقال أنس رضي الله عنه : العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية .

ومن شرائطه نشره قال الله تعالى: **{قلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}** [التوبة: ١٢٢]. وروى أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: **{(ألا أخبركم عن أجود الأجواد)}** قالوا بلى يا رسول الله ، قال: **{(الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم بعدي رجل علم علماً فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ، ورجل بنفسه في سبيل الله حتى قتل)}**.

ومن شرائطه ترك المباهاة والممارسة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **{(من طلب العلم لأربعة دخل النار : ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يأخذ به الأموال ، أو يصرف به وجوه الناس إليه)}**.

ومن شرائطه الاحتساب في نشره وترك البخل به ، قال الله تعالى: **{قل لا أسألكم عليه أجراً}** [الأنعام: ٩٠].

ومن شرائطه ترك الأنفة من قول لا أدري ، قال صلى الله عليه وسلم في علو مرتبته لما سئل عن الساعة: **{(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)}** . وسئل عن الروح فقال: **{(لا أدري)}**.

ومن شرائطه التواضع قال الله تعالى: **{وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا}** [الفرقان: ٦٣]. قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: **{(يا أبا ذر احفظ وصية نبيك عسى أن ينفعك الله بها ، تواضع لله عز وجل عسى أن يرفعك القيامة ، وسلم على من لقيت من أمتي برّها وفاجرها ، والبس الخشن من الثياب ، ولا تردّ بذلك إلا وجه الله تعالى ، لعل الكبر والحمية لا يجدان في قبلك مساعاً)}**.

ومن شرائطه احتمال الأذى في بذل النصيحة والاعتداء بالسلف الصالح في ذلك قال الله تعالى: **{وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك}** [لقمان: ١٧] . وقال صلى الله عليه وسلم: **{(ما أودى نبي مثل ما أوديت)}**.

ومن شرائطه أن يقصد بعلمه من كان أحوج إلى التعليم ، كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج ، فمن أحيا جاهلاً بتعليم العلم فكأنما أحيا الناس جميعاً ، ومما قيل في تنبيه الغافل ورده إلى الطاعة .

قوله صلى الله عليه وسلم: **{(إلا نزلت عليه السكينة)}** هي فعيلة من السكون ، أي الطمأنينة من الله ، قال الله تعالى: **{(ألا بذكرِ تطمئنُّ القلوب)}** [الرعد: ٢٨]. وكفى بذكر الله شرفاً ذكر الله العبد في الملأ الأعلى .

قوله صلى الله عليه وسلم: **{(ومن بطأ به عمله)}** أي وإن كان نسيباً **{(لم يسرع به نسبه)}** إلى الجنة فيقدم العامل بالطاعة ولو كان عبداً حبشياً على غير العامل ولو كان شريفاً قرشياً ، قال الله تعالى: **{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}** [الحجرات: ١٣].

## الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة". (رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة )) روى البزار في مسنده أنه صلى الله عليه وسلم قال: (الأعمال سبعة : عملان موجبان ، وعملان واحد بواحد، وعمل الحسنه فيه بعشرة ، وعمل الحسنه فيه بسبعمائة ضعف ، وعمل لا يحصي ثوابه إلا الله تعالى . فأما العملان الموجبان فالكفر والإيمان ، فالإيمان يوجب الجنة والكفر يوجب النار ، وأما العملان اللذان هما واحد بواحد ، فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة ، ومن عمل سيئة كتب الله عليه سيئة واحدة ، وأما العمل الذي بسبعمائة ضعف فهو الجهاد في سبيل الله تعالى : { كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة } [البقرة: ٢٦]. ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنه يضاعف لمن يشاء زيادة على ذلك ، وقال الله تعالى : { وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً } [النساء: ٤٠]. فدللت الآية والحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (( إلى أضعاف كثيرة )) إن العشر والسبعمائة كلمة ليست للتحديد وأنه يضاعف لمن يشاء ويعطي من لدنه ما لا يعد ولا يحصى فسبحان من لا تحصى آلاؤه ولا تعد نعمائه فله الشكر والنعمة والفضل .

وأما السابع فهو الصوم ، (( يقول الله تعالى : كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصومَ فإنه لي وأنا أجزي به )) . فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله .

## الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". (رواه البخاري)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى: (( من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب )) المراد هنا بالولي: المؤمن قال الله تعالى: {الله ولي الذين آمنوا} [البقرة: ٢٥٧]. فمن آذى مؤمناً فقد آذنه الله ، أي أعلمه الله أنه محارب له ، والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه ، فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم قوله

تعالى: (( وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه )) فيه دليل على أن فعل الفريضة من أفضل النوافل، وجاء في الحديث: ((إن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة)).

قوله تعالى: (( ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه )) ضرب العلماء رضي الله تعالى عنهم لذلك مثلاً فقالوا: مثل الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض ، ومثل غيره كمثله رجل أعطى لأحد عبديه درهماً ليشتري به فاكهة، وأعطى آخر درهماً ليشتري فاكهة ، فذهب أحد العبدین فاشتري فاكهة فوضعها في قوصرة ، وطرح عليها ريحاناً ومشموماً من عنده ، ثم جاء فوضعها بين يدي السيد ، وذهب الآخر واشتري الفاكهة في حجره ثم جاء فوضعها بين يدي السيد على الأرض ، فكل واحد من العبدین قد امتثل ، لكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم فيصير أحب إلى السيد. فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله ، والمحبة من الله إرادة الخير ، فإذا أحب عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان ، واستعمل أعضائه في الطاعة ، وحبب إليه سماع القرآن والذكر وكرهه إليه سماع الغناء وآلات اللهو وصار من الذين قال الله تعالى: {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} [الفرقان: ٦٣]. فإذا سمعوا منهم كلاماً فاحشاً أضربوا عنه وقالوا قولاً يسلمون فيه ، وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له ، وصار نظره فكر واعتبار ، فلا يرى شيئاً من المصنوعات إلا استدل به على خالقه . وقال على رضي الله عنه : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله تعالى قبله . ومعنى الاعتبار العبور الفكر في المخلوقات إلى قدرة الخالق ، فيسيح عند ذلك ويقدم ويعظم وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى ولا يمشي فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئاً عبثاً بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى ، فيثاب على ذلك في حركاته وسكناته وفي سائر أفعاله .

قوله تعالى: ((كنت سمعه)) يحتمل كنت الحافظ لسمعه ولبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان ، ويحتمل كنت في قلبه عند سمعه وبصره وبطشه. فإذا ذكرني كف عن العمل لغيري.

### الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". (حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) أي تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع ، فلو أُلّف شيئاً خطأ أو ضاعت منه الوديعه نسياناً ضمن ، ويستثنى من الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان بالإكراه ، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه فإنه يَأْتُم بفعله لتقصيره .

## الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك". (رواه البخاري)

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** )) أي لا تركز إليها ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق بالغريب به في غير وطنه الذي يريد الذهاب منه إل أهله ، وهذا معنى قول سلمان الفارسي رضي الله عنه: **أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب .**

وفي الحديث دليل على قصر الأمل وتقديم التوبة والاستعداد للموت فإن أمل فليقل إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى: **{ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله }** [الكهف: ٢٣-٢٤].

قوله: (( **وخذ من صحتك** )) أمره صلى الله عليه وسلم أن يغتصم أوقات الصحة بالعمل الصالح فيها ، فإنه يعجز عن الصيام والقيام ونحوها لعله تحصل من المرض والكبر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (( **ومن حياتك لموتك** ))، أمره صلى الله عليه وسلم بتقديم الزاد. وهذا كقوله تعالى: **{نظر نفس ما قدمت لغد}** [الحشر: ١٨]. لا يفرط فيها حتى يدركه الموت فيقول: **{رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت }** [المؤمنون: ١٠٠: ٩٩]. وقال الغزالي رحمه الله تعالى: ابن آدم بدنه معه كالشبكة يكتسب بها الأعمال الصالحة، فإذا اكتسب خيراً ثم مات كفاه ولم يحتج بعد ذلك إلى الشبكة ، وهو البدن الذي فارقه بالموت ، ولا شك أن الإنسان إذا مات انقطعت شهوته من الدنيا واشتتهت نفسه العمل الصالح لأنه زاد القبر ، فإن كان معه استغنى به وإن لم يكن معه طلب الرجوع منها إلى الدنيا ليأخذ منها الزاد ، وذلك بعد ما أخذت منه الشبكة فيقال له: هيهات قد فات! فيبقى متحيراً دائماً نادماً على تفريطه في أخذ الزاد قبل انتزاع الشبكة .

فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **{وخذ من حياتك لموتك }**. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)).

## الحديث الحادي والأربعون

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يؤمن أحدكم حتى يهواه تبعاً لما جئت به". (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح).

### شرح وفوائد الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: (( لا يؤمن أحدكم حتى يهواه تبعاً لما جئت به )) يعني أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة ويخالف هواه ويتبع ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، وهذا نظير قوله تعالى: **{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}** [الأحزاب: ٣٦]. فليس لأحد مع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أمر ولا هوى.

وعن إبراهيم بن محمد الكوفي قال: رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس ، ورأيت إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين ، فقال أحمد لإسحاق: تعال حتى أريك رجلاً لم تر عينك مثله . فقال له إسحاق: لم تر عيني مثله؟! قل نعم ؛ فجاء به فوقفه على الشافعي فذكر القصة إلى أن قال: ثم تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعي فسأله عن كراء بيوت مكة ، فقال الشافعي: هذا عندنا جائز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فهل ترك لنا عقيل من دار))؟ فقال إسحاق: أخبرنا يزيد ابن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك ، وعطاء وطاووس لم يكونا يريان ذلك، فقال له الشافعي: أنت الذي تزعم أهل خراسان أنك فقيهم؟ قال إسحاق: كذا يزعمون! قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك فكنت أمراً بفرك أدنيه، أنا أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنت تقول: قال عطاء وطاووس والحسن وإبراهيم، هؤلاء لا يرون ذلك؟ وهل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟ ثم قال الشافعي: قال الله تعالى: **{للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم}** [الحشر: ٨]. أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين؟ قال إسحاق: إلى مالكين. قال الشافعي: فقول الله تعالى أصدق الأقاويل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( من دخل دار أبي سفيان فهو آمن )) . وقد اشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار الحجلتين . وذكر الشافعي جماعات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له إسحاق: **{سواء العاكف فيه والباد}** [الحج: ٢٥]. فقال له الشافعي: فالمراد به المسجد خاصة ، وهو الذي حول الكعبة ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز لأحد أن ينشد في دور مكة ضالة، ولا تحبس فيها البدن ، ولا تلقى الأرواث ، ولكن هذا في المسجد خاصة ، فسكت إسحاق ولم يتكلم فسكت الشافعي عنه.

## الحديث الثاني والأربعون

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة". (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

### شرح وفوائد الحديث

قوله تعالى: ((**عنان السماء**))، هو بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل: ما عن لك منها، أي ظهر إذا رفعت رأسك.

قوله تعالى: ((**ثم استغفرتني غفرت لك**))، هو نظير قوله تعالى: {**ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً**} [النساء: ١١٠]. الاستغفار لا بد أن يكون مقروناً بالتوبة. قال الله تعالى: {**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**} [هود: ٣]. وقال تعالى: {**وتوبوا إلى الله جمعياً أيها المؤمنون لعلمكم تفلحون**} [النور: ٣١].

واعلم أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين ، وقد يكون عن تقصير في أداء الشكر؛ وهو استغفار الأولياء والصالحين ، وقد يكون لا عن واحد منهما بل يكون شكراً وهو استغفاره صلى الله عليه وسلم واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله عليه وسلم: ((**سيد الاستغفار** : الله أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت )) . وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: ((**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً. وفي رواية – كبيراً – ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**)). انتهى